المقياس: النص السردي المغاربي السنة الثالثة / مج :(الثانية) / السداسي:السادس /أ–دربالي

المحاضرة(4)– قضايا الرواية المغاربية : التاريخية والثقافية

مرت بلدان المغرب العربي بفترات تاريخية هامة، وفيها تعرضت لهيمنة الاحتلال الأجنبي (الفرنسي الإيطالي الإسباني) وبعد استقلالها شهدت مراحل تحول في الجوانب السياسية والاجتماعية، ومن هنا لابد أن يتزود مخزون الحدث التاريخي بالمغرب العربي من الأحداث التي هزت معمارية المجتمع جاعلة إياها أمام قدرها ، وفي هذه الظروف التاريخية يصبح الروائي حامل أسماء أبطال الحرية والصراع الاجتماعي .

أولًا– القضايا التاريخية في الرواية المغاربية :

وفي بحثنا عن علاقة التاريخ بالأدب نجد أنه يتوزع علم التاريخ والرواية على موضوعين مختلفين ، يستنطق الأول الماضي ، ويسائل الثاني الحاضر، وينتهيان معًا إلى عبرة وحكاية .

وتجدر الإشارة أنه هناك فرق بين عمل المؤرخ والكاتب ، فالمؤرخ يقتصر عمله على جمع المادة التاريخية ، وأما الروائي فدوره هو الصياغة الجمالية للأحداث التاريخية وإعادة قراءتها وفق حاضره .

ومماهو معلوم أن الرواية المغاربية عالجت قضايا تاريخية هامة تعرضت لها الشعوب المغاربية ،وسنتعرض لأهم القضايا التاريخية في الرواية المغاربية فيمايلي:

1–القضايا التاريخية في الرواية الجزائرية :

تتصدر الثورة التحررية طليعة القضايا التاريخية، فقد شكلت الثورة محورًا هامًا في تاريخ الجزائر الحديث ، وهو ماوجدنا أثره في الروايات الجزائرية .

أ–قضية الثورة في الرواية الجزائرية :

لقد سيطرت مواضيع الثورة على السرد الجزائري الحديث، وفي السبعينات ظلت تيمة الشهيد وتيمة الثورة الجزائرية شبه مهيمنة ومحتكرة للمخيلة الجمعية لدى الجزائريين .

* المضمون الثوري في راويات الطاهر وطار :

دارت أحداث رواية اللاز 1972 للطاهر وطار وشخصياتها ودلالاتها حول الثورة المسلحة ومايتفرع عنها من تيمات من قبيل الشهداء والتضحية والخيانة، وهناك من النقاد من يرى بأن اللاز ليست رواية تاريخية بالرغم من أنها تستلهم أحيانًا بعض الأحداث التي وقع مايشبهها،فالظروف التاريخية التي تطالعنا أصداؤها في بعض الصفحات تعالج روائيًا بوصفها تساهم في خلق وضعية وجودية كاشفة، فالعالم الروائي في "اللاز" يستمد مادته الحكائية من سجل السرد ذي الطابع البطولي والمأسوي،فبصرف النظر عن مختلف التفصيلات، يمكن القول بأن الرواية تتخذ من قصة زيدان ومأساته موضوعيًا رئيسيًا لها،وتعد رواية اللاز من ذلك الطراز الروائي ،الذي يتداخل فيه الأدب بالتاريخ إلى حد الاندماج بوعي فنان قدير عارف بماهية الموضوع،ومتعمق لأغواره موضوعيًا وفنيًا ،فروايته في جزئها الأول كتابة لفترة تاريخية محددة من وجهة نظر محددة أووعي المبدع،بكل خفايا ذلك التاريخ المفتوح،فهي تحكي عن النضال الوطني ضد الاستعمار الدخيل،واتخذ موضوع "اللاز" تلك التناقضات التي رافقت ثورة التحرير،و يرى واسيني الأعرج أن رواية "اللاز" للطاهر وطار غنية بالمضمون التاريخي بوصفه مرجعيًا لأحداث الرواية وشخصياتها ودلالاتها الممكنة وتبدأ الرواية بالاستناد إلى وعي تاريخي مكثف يستجلي الحاضر من رحم الماضي، دون أن ينفصل عنه وغم اختلاف الواقع ، والطاهر وطار يملك كل القدرات الفنية والتاريخية والموضوعية،التي كانت كلها كافية بأن تساعده

على تقديم حوار وجدل فكري أيديولوجي واضح المعالم صريح المنهج على الأقل كما فعل في النص ، وهذا مادفع الطاهر وطار إلى حشد كل الوقائع التاريخية وقولبتها ضمن إطار روائي، مستغلًا قدرته على تصوير تلك الوقائع التي عاشها ميدانيًا،وإيمانه بتوجهه الأيديولوجي مستغلًا ثقاته الأيديولوجية ووعيه بها وعيًا كاملًا.

قد يلجأ الروائي الجزائري المعاصر إلى أن يمازج بين الصورتين،التاريخية المجتزأة من أحداث الأمة والصورة المعاصرة من تلك التي تعايشها ،ليخلص إلى تصور ماقد يحدث حاليًا في أزمنتنا المعاصرة من نكبات وأزمات وأحداث أليمة ،أو من وقائع مستقرأة من بعض الأحداث التاريخية الظرفية،وفي هذا المجال برع الطاهر وطار في رسم الشخصيات القصصية ذات البعد التاريخي،حتى أصبحت عنده مقاربة مرجعية للواقع الجزائري،دون الإسراف في واقعيتها ،حتى لاتقترب من الابتذال ،كما أنها تبتعد عن المثالية .

*** المضمون الثوري في راويات واسيني الأعرج:**

ألف واسيني الأعرج روايته كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد 2004،وهي رواية تستحق الاهتمام ؛لأنها تستقي مادتها من التاريخ الجزائري ،فهي لاتقول التاريخ لأنه ليس هاجسًا ، ولاتتقصى الأحداث والوقائع لاختبارها ، فليس ذلك من مهامها الأساسية،تستند فقط إلى المادة التاريخية، وتدفع بها إلى قول مالايستطيع التاريخ قوله "الاستماع إلى أنين الناس وأفراحهم وانكساراتهم إلى اندفاع الأمير ، وهو يحتج على والده الذي أعدم بدون استشارته قاضي أرزيو إلى غليانات بوجو لأن الأمي تركه على حافة التافنة إلى وقع على مونسينيور ديبوش قس الجزائر الكبير".

وتعد رواية "الأمير" لواسيني الأعرج درسًا في حوار الحضارات ، ومحاورة كبيرة بين المسيحية والإسلام بين الأمير من جهة ومونسينيور ديبوش ونابيلون الثالث من جهة ثانية ،التي تفضي إلى إعادة تشكيل وعي كل الذين انغمسوا في حروب التاسع عشر ،حروب وجد الأمير فيها نفسه على حافة قرن ينسحب بكل أشواقه وهزائمه وماخر ومفاخر كان السيف سيدها ، وقرن جديد كانت فيه الآلة والبارود هما سيدا الحروب والتطور.

في عوالم الرواية الجديدة المتشابكة الخيوط من تلك التي تحاول دومًا أن ترسم مسارات الأمة الجزائرية برجالاتها وعظمائها،بجميع توجهاتها الفكرية ،وأعرقها المتداخلة إنها في كل الأحوال شخصيات منمذجة لهذا الواقع المتداخل، تبدو أمامنا محملة بزخم أحداثها ،لكنها في الوقت نفسه..محاولة تصحيح حركة التاريخ التي لاتراه مناسبًا لطقوسيتها أو لمحاولة تجليها في زماننا الحاضر،مثل مانجده في رواية"فاجعة الليلة السابعة بعد الألف " 1993 لواسيني،فهي بهذه الأطروحة تبدو نصًا روائيًا مثقلًا بأوجاع الماضي، ومشبعًا حتى التخمة بقضايا الخاص المعقدة .

لقد وُفق واسيني الأعرج في قراءة التاريخ الجزائري ، وإعادة صياغته في تشكيل فني أظهر فيه براعة في سرد الأحداث، وكان الشكل لرواية في مستوى جودة المضمون.

ب- تعدد المضمون التاريخي في الروايات الجزائرية :

في البداية نشير إلى أن مواضيع الثورة التحريرية هيمنت على معظم الروايات الجزائرية، فنجد على سبيل المثال الطاهر وطار في روايته "عرس بغل" سيتحول من تيمة الثورة الجزائرية إلى تيم الثورة المجهضة أو المهددة ونفس الشيء في رواية واسيني الأعرج "ماتبقى من سيرة لخضر حمروش" 1982 وفيها ينتقد مؤسسة الثورة، وينتقد الروائيين الذين سبقوه في معالجة هذه التيمة، وكذلك بزرت رواية"حمائم الشفق للجيلالي خلاص،فهو الآخر ينظر إلى تيمة الشهيد والثورة نظرة سلبية، وتكتب أحلام مستغانمي روايتها "ذاكرة الجسد"لكي تصل بهذا أدلوجة الشهيد إلى أقصي مدى ممكن له بأداء شعري وتصويري، وحاولت أعمال عبد المالك مرتاض "نار ونور" و"دماء ودموع" أن تكون في

مستوى الثورة أو على الأقل تساير منجزاتها مثلما نجده في رواية الحريق لنور الدين بوجدرة التي هي من وحي الثورة الجزائرية،وتعرض "مالاتذروه الرياح لعرعار محمد العالي 1982 لموضوع الثورة التحريرية وبالذات الثلاث السنوات الأخيرة منها، وأما رواية "نهاية الأمس" لعبد الحميد ابن هدوقة فشأنها شأن روايات معركة الزقاق لنور الدين بوجدرة والولي يعود إلى مقامه الزكي للطاهر وطار، والنهر المحول لميموني ،والباحثون عن العظام للطاهر جاووت، وهي النصوص التي تتطرق إلى مسائل الميثولوجيا العامة للأمة العربية الجزائرية خصوصًا فيما تعلق بقضايا الثورة، وأتت على الأخضر واليابس، وبدلت وغيرت جميع ماوجدته في طريقها.

نلاحظ اختلاف بين الأدباء في معالجة قضية الثورة التحريرية بين من يشيد بانتصاراتها(عبد المالك مرتاض) وبين من ينتقدها (الطاهر وطار واسيني الأعرج والجيلالي خلاص) وبين من يبحث عن بطولات الثورة أو ميثولوجيا الأمة الجزائرية بصفة عامة .

وهناك نصوص روائية أخرى تناولت تاريخ الجزائر في العهد العثماني،وفي هذا السياق نشير إلى محاولة محمد مفلاح، وهو يثير التاريخ في روايته"شعلة المائدة"2010 فعمل على إعادة إنتاج المعطيات المتوفرة لديه،ليتسنى له إبداع صورة فنية متكاملة فنجده يصور جميع مشاكل الحياة الشعبية التي تؤدي إلى الأزمة التاريخية التي مثلها.

ولقد عادت النصوص الروائية الجزائرية إلى التاريخ لتغترف منه ذاك العبق المتميز، وعالجته بحكمة وروية بقدر من الموضوعية في أحيان كثيرة، وبشيء من الأدلجة أحيانًا مثل كثير من النصوص المهمة في تاريخ الأمة الجزائرية كاللاز والحوات والقصرلوطار وطار،ونوار اللوز للأعرج واسيني ،التي هي كتابة ثانية لسيرة بني هلال لكن برؤيا حداثية تعالج زمانها، شأنها في ذلك شأن مصرع أحلام مريم الوديعة والبيت الأندلسي حيث يثبت فيهما فكرته المتأصلة عن مساءلة تأصيل الميراث الاجتماعي لدى الأمة الجزائرية .

إن الأدباء استحضروا التاريخ الجزائري عبر حقب زمنية عديدة أبرزها فترة الاحتلال الفرنسي، وحاولوا إعادة صياغة أحداثه وفق رؤيتهم الإيديولوجية، وهناك من وُفق في هذا المجال فكتب الرواية التاريخية،ولاحظنا أن تاريخ الجزائر لايعود فقط إلى مرحلة الثورة التحريرية بل يتجاوزها إلى العهد العثماني، وتعددت المضامين التاريخية في الروايات الجزائرية .

2- القضايا التاريخية في الرواية التونسية :

في البداية نشير إلى أن التاريخ التونسي شبيه إلى كبير بالتاريخ الجزائري بحكم وحدة المصير والثقافة، وكما أن الاحتلال الفرنسي في الجزائر هو نفسه التي تعرضت له تونس،وأما في حديثنا عن القضايا التاريخية في الرواية التونسية، فنبدأ بالأعمال الروائية للعروسي المطوي التي غطت الأحداث التاريخية التونسية،ومنها الروايات التالية: "ومن الضحايا" 1956 وحليمة 1964 والتوت المر 1967 مرحلة زمنية امتدت مابين أخريات العقد الثالث، وأخريات العقد الخامس من تاريخ تونس ، ولقد سقط الأديب العروسي المطوي من حيث لايريد في متاهة الخلط بين التاريخ والحكي للتاريخ، فيخطئ بذلك التاريخ من حيث أنه أخطأ الرواية ،أخطأ التاريخ كونه كان يكتب الرواية من موقع غير روائي لكون خطابها جاء سجن التاريخي ، وتكشف رواية "التوت المر"1967 للعروسي المطوي التي تعرض من خلالها إلى تلك المظاهر في ضوء منطلقه الأيديولوجي ،وفي ضوء هيمنة الأيديولوجية الوطنية.

ونرى هنا بأن الأديب العروسي المطوي لم يوفق في كتابة الرواية التاريخية ، فحصل الخلط عنده بين التاريخ كوقائع وأحداث ، وبين الرواية التاريخية التي تتعرض لأحداث التاريخية في إطار رؤية فنية .

ونجد حضور التاريخ في رواية "وراء السراب قليلًا 2002"لإبراهيم درغوثي فالسرد التاريخي هو بأشكال مختلفة أبان عن نوع العلاقات التي أنشأها الروائي مع مراجعه، وهي علاقة تراوحت بين الاستبداد والحرية، وتعرض إبراهيم درغوثي في روايته وراء السراب قليلًا للتاريخ السياسي التونسي، وقد تمرد على الاستبداد،وبحث عن قضية الحرية،ومنه فقد ارتبطت الرواية التونسية بالتاريخ العام لتونس، وماتعلق منه بالأحداث السياسية،وكانت الأعمال الروائية للعروسي والدرغوثي في شكل عرض وثائقي للأحداث التاريخية أكثر مماتعلق بالجوانب الفنية.

3-القضايا التاريخية في الرواية المغربية :

لم تكن الرواية المغربية بعيدة عن إشكالات التاريخ،فنجد في هذا المجال حضور المضامين التاريخية في روايات عبد الكريم غلاب دفنا الماضي 1968 والمعلم علي 1974 وشروخ في المرايا 1994،فرواياته تناولت فترات تاريخية واضحة المعالم من حياة المجتمع المغربي، وهيمنت فيها الأطروحة التاريخية الوطنية بتفريعاتها السياسية والنقابية والاجتماعية،وكما أن روايات عبد الكريم غلاب سبعة أبواب 1965 ودفنا الماضي والمعلم علي كُتبت في مرحلة الاستقلال ، وهي تسجل بعض اللحظات المشرقة التي عاشتها "الذات الفردية في تاريخ الماضي وأما رواية"المعلم علي" لعبد الكريم غلاب،فهي عبارة عن رصد لتطور الوعي النقابي، وتربط هذا الوعي نفسه بذات الطبقة البرجوازية الوطنية التي تظل رائدة دائمًاعند عبد الكريم غلاب،وكانت روايات عبد الكريم غلاب سجل حافل بالأحداث التاريخية برؤية متفائلة في رواية دفنا الماضي،وأما رواية "المعلم علي فانحصرت في الحديث عن الطبقة البرجوازية الوطنية.

وأما رواية "الغربة" 1971 لعبد الله العروي فاستثمرت تاريخ المغرب ماضيًا وحاضًا بشكل يؤهلها إلى الوقوف ندًا لباقي الطبقات الأخرى،التي تحاصرها من كل جهة، وفي سياق متصل يرى النقاد بأن المشروع الإيديولوجي لعبد الله العروي يعد أحد المشاريع الفكرية العربية المهمة في العصر الحديث،وتهيمن على أعماله الروائية قضية الموت "الموت التاريخي" كما يقول هو، وليس موت الأشخاص بل موت المجتمع، الذي لايمكن مجاوزته إلا من خلال تبني الفكر التاريخي ،الذي تمثل الماركسية لحظة مهمة فيه.

إن قراءة رواية"الغربة" في ضوء الوعي الإيديولوجي ،الذي أنتجها لاتحيل إلى نص روائي بقدر ماتحيل إلى شكل محدد من الوعي الأيديولوجي العام،واستطاع الأديب عبد الله العروي من خلال هذه المصادمة الأيديولوجية بين مختلف الطبقات المتصارعة فيما بينها أن يضع يده على منافذ العلة وأسباب الخيبة ، وهو في الواقع لايقدم جديدًا يخص بلده المغرب بل هي حقيقة كل الشعوب ،التي ظلت فترة طويلة تئن تحت الاستعمار .

كانت الرواية التاريخية المغربية عبارة عن قراءة تاريخية للأحداث التي عاشها المجتمع المغربي في فترات زمنية متفاوتة، وظهر أن الوعي السياسي عند عبد الله العروي أكبر وأشمل من فكر عبد الكريم غلاب ، ونجد أن الأديب عبد الله العروي رُغم قلة إسهاماته الروائية؛ إلا أنه اشتغل على مشروع سياسي استثمر فيه تاريخ المغرب ولاحظنا تقارب في الفكر الإيديولوجي بين "الطاهر وطار"وعبد الله العروي" وهو ماعكسته رؤاهم الأيديولوجية في كتاباتهم الروائية التي حملت هموم مجتمعاتهم .

4-القضايا التاريخية في الرواية الليبية :

حاول الأدباء طرح قضايا مرتبطة بالتاريخ الليبي العام، ومن الروايات التي ناقشت مسائل تاريخية"سرة الكون" لمحمد الأصفر، فتعرضت للعلاقة القديمة بين الليبيين والفراعنة،حيث سيكون القهر الذي مارسه على سكان ليبيا آنذاك،ونجد في الرواية تحول من تاريخ لآخر،ورسم بها تاريخ العلاقة بين ليبيا ومصر،وتصوير الظلم الذي عاشه الليبيون على يد المصريين ، ويستمر الصراع إلى غاية العصر الحديث، وهنا يتوجه الكاتب نحو المستقبل ويركز على زمن الدولة القرمانلية في ليبيا تلك المرحلة ،وكان الصراع بين ليبيا وأمريكا- فيما بعد- في أوج قوته،وحصل ترابط بين المكان والتاريخ،واستعادة تاريخ الأمكنة باستمرار،وكل ذلك كان هاجسه لكي يعلن أسطرته"لسرة الكون ليبيا"التي يحبها،وظل طيلة الرواية يمارس فعل تفخيم من خلال المادة التاريخية،وحاول محمد الأصفر في "سرة الكون" بناء السرد التاريخي، وتصوير جزء هام من تاريخ ليبيا في علاقتها مع مصر،وعرض أشكال الصراع بينهما،وأما حضور التاريخ في رواية "تزيف الحجر" 1987 لإبراهيم الكوني،فأراد كاتبها من خلالها استحضار التاريخ الليبي في عملية إسقاط الماضي على الحاضر، وقراءة الحاضر في ضوء الماضي ، وقد صوَّر فيها الصحراء الليبية الغنية بتراثها السابق على التاريخ .

لقد جسدت الرواية الليبية التاريخ الليبي ، وشكلت وثيقة حية للعلاقات التاريخية التي ربطت ليبيا بمجموعة من الشعوب، واختلف تناول المواضيع التاريخية بين من طرح بين قضايا الصراع الليبي بشكل صرف مثلما هو الأمر عند محمد الأصفر ، وبين من طرح القضايا التاريخية برؤية فنية ظهرت في الأعمال الروائية لإبراهيم الكوني.

5-القضايا التاريخية في الرواية الموريتانية :

في البداية نشير إلى أنه رغم قلة الروايات الموريتانية، إلا أنها عبرت عن قضايا المجتمع، ومن أبرزها القضايا التاريخية، وفي هذا الإطار تعد رواية الأسماء المتغيرة" 1981 لأحمد ولد عبد القادر قراءة تاريخية تطورية للمسار التحرري للمجتمع الموريتاني منذ أواخر القرن الماضي، وارتكزت الرواية في رؤيتها العامة على عنصر التغيير ، فكل شيء يتحول من الأسماء إلى الشخصيات إلى المواقف إلى الآراء، وعدم الاستقرار وغياب الهدف هما القاسم المشترك،ومع ذلك فقد وحدت الدولة صفوفها ، وحددت أهدافها في الحرية السياسية والاجتماعية وفي الوحدة الوطنية، وهي من الروايات الواقعية الاشتراكية المتفائلة، وكما أن رواية"الأسماء المتغيرة" 1981 للشاعر أحمد ولد عبد القادر شبيهة برواية"دفنا الماضي" 1966 لعبد الكريم غلاب من حيث إلحاحها على أن يكون التأريخ التخييلي لنشأة موريتانيا وتطورها هوالتيمة الغالبة في هذه الرواية، فتعرض في المستوى الخيالي أهم مراحل تطور،وتكون موريتانيا منذ أقدم العصور إلى حدود نهاية السبعينيات تقريبًا إلى مرحلة مفترق الطرق في تاريخ موريتانيا، وهو نص،وإن كان رائدًا إلا أن ظهوره في الثمانينيات جعله متميزًا بخصائص وعناصر لاصلة لها برواية الانطلاق.

مماهومعلوم أن الرواية المغاربية شكلت سجلًا تاريخيًا للمجتمعات المغاربية، ولاحظنا ذلك على وجه الخصوص في الرواية الجزائرية والمغربية ، فكان تمثل الأحداث التاريخية لدى الأدباء الجزائريين بطريقة فنية جيدة .

ولمسنا حضور الحس التاريخي للأديب، وشعوره بمايحمله الموروث الشعبي الحضاري للأمة المغاربية من عراقة قد يكسبانه تشعبًا بالهُوية الذاتية،ولاحظنا تزايد الاهتمام بالقضايا التاريخية خصوصًا في الرواية الجزائرية وهو أمر طبيعي لكون الجزائر شهدت مراحل تاريخية، وأبرزها فترات النضال ضد الاحتلال الفرنسي .

ثانيًا– القضايا الثقافية في الرواية المغاربية :

مما هو معلوم أن الرواية هي نص يحمل ثقافة الأديب وثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه ، وهناك روايات مغاربية عكست ثقافة الشعوب المغاربية، ومن الأدباء من حاولوا طرح قضايا ثقافية في رواياتهم سنأتي على ذكر بعضها.

1–القضايا الثقافية في الرواية الجزائرية :

عالجت الرواية الجزائرية مختلف القضايا الاجتماعية والتاريخية والسياسية ، ولم تكن بعيدة عن معالجة الثقافية ونجد أن الثقافة الجزائرية غنية ومتنوعة، وهذا ما أفرز إشكاليات ثقافية عديدة .

أ–الخلفيات الثقافية للرواية الجزائرية :

عمل الوضع الثقافي على زعزعة الأركان الثقافية للشعب الجزائري، لتبدأ بذلك مأساة ثقافية لشعب أضاعوا له لغته،التي تشكل جزءًا من مقوماته التاريخية والحضارية ومن الناحية الأدبية، فزيادة على المؤثرات الغربية المباشرة يمكن القول بأن هناك تماسًا حصل بين الوضع الثقافي في الجزائر وقرينه في المشرق العربي ، ويمكن الإشارة إلى دور الصحافة الوطنية ، التي ساهمت في قيام الحركة الأدبية وتطورها .

ب–قضية الجهل

لقد اعتنى الطاهر وطار عن طريق السرد والحوار بالكشف عن طبيعة الشخصية الجزائرية ، وتحديد مستواها الثقافي مشيرًا إلى الظروف الاستعمارية،التي كانت السبب في تفشي الجهل والأمية،وعلى سبيل المثال تناول في رواية اللاز " شخصية "اللاز" كرمز للبطل الجاهل واللقيط،وكذلك تعرض الإبداع الروائي الجزائري للواقع الثقافي، ومثلما نلاحظ لدى أبي العيد دودو في قصة "الغيم"1967(مجموعة بحيرة الزيتون) التي أشار فيها إلى أهمية الثقافة في كونها تمثل الطليعة ،التي تخطط وتضع الأهداف المبنية على المبادئ الإنسانية،التي تأتي في المرتبة الأولى .

وفي تحديدنا للمكونات الثقافية التي يتكون منها الأدب الجزائري بعامة والرواية بخاصة من خلال مقاربة أنثروبولوجية لرواية "نجل الفقير" 1950 لمولود فرعون تلك الرواية،التي مثلت تمثيلًا صادقًا الحياة الثقافية الجزائرية وأبرز فيها الأديب عادات وتقاليد المجتمع الجزائري .

ج– قضية النضال الثقافي :

حاول الحبيب بناسي تغيير مفهوم الأدب السائد في الحياة الأدبية، وخصوصًا في منابر العلماء، حيث كان الأدب إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية مقصورًا على الشعر ودراسته ، وقصة "شهيد بلا قبر "للحبيب بناسي صورت شابًا مثقفًا تخرج في جامعة القاهرة من كلية الآداب، وفي أثناء وجوده بالقاهرة كان يراسل الصحف الوطنية في الجزائر ولكنه ما إن سمع بقيام الثورة حتى عاد إلى بلاده، إلا أن سلطات الاستعمار سارعت فألقت القبض عليه ، وقد عمل الحبيب بناسي على تطوير مفهوم الكتابة الأدبية،وتجاوز التعريف السائد آنذاك للأدب مستعينًا بذوق فني رفيع،وقادته رؤيته الجديدة للفن لأن يواكب تطور الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر ، وفي سياق متصل رسم عبد الله خليفة ركيبي في قصة "في المغارة" صورة نموذجية للمثقف الجزائري الوطني فـ "حامد" بطل هذه القصة يلتحق بصفوف الثورة التحريرية في الجبل بعد فراره من سجن العدو.

نلاحظ تجسيد صورة المثقف في الرواية الجزائرية،وهي صورة ايجابية عبرت عن وفائه لقضايا الأمة الجزائرية وهنا المثقف الجزائري على قدر كبير من الوعي السياسي ، فنجده فضل الالتحاف بالثورة التحريرية ومساندتها .

د-أزمة الثقافة الجزائرية :

تعرضت الرواية الجزائرية لما سمى بالأزمة الثقافية ،فقد قدمت لنا رواية "تيميمون" 1990 رشيد بوجدرة تمثيلًا رائعًا عن حساسية الفردانية البرجوازية المتأزمة في مواجهة الحالات القصوى ،حيث تظل هذه الذات حبيسة أطرها الخاصة،وتتعامل مع الالتباس اللغوي بالانكفاء في سيكولوجيتها واستبطان هواجسها الداخلية، وتتحدد البنية الروائية لتيميمون في تناصها مع اللهجة الجماعية للبرجوازية الصغيرة،التي تعاني من حيث المبدأ من أزمة وجود تتجلى في عجزها عن التأسيس لفردانية سوية في مجتمع أبوي ذي ثقافة إقطاعية متوارثة،أزمة ازدادت حدة مع العنف الدموي في التسعينيات،واستهداف المثقف من المتطرفين ، والذين يمكن اعتبارهم وجهًا ناشزًا لما وصفناه بالثقافة الإقطاعية المتوارثة، وفي سياق متصل يرى الروائي الجزائري أمين الزاوي:"بأن الدعوة إلى الاندماج في الحركة الوطنية المغاربية التي حملها المثقفون في الخمسينات ، والدعوة إلى الاندماج في الدولة الاستقلالية سياسيًا أنتج هذه النزعة التسيسية في الرواية، حتى وإن كانت الرواية شكلًا من الأشكال الفنية للإيديولوجيا ، وتقوم بفعل فكري بوصفها تحمل مضمونًا معرفيًا مؤسسًا داخل الذات والمجتمع"،وقريب من رأي أمين الزاوي واسيني الأعرج،الذي توصل إلى نتيجة أن الواقع الثقافي وتطوره في الجزائر كان خاضعًا للواقع السياسي،التي كانت تعيشه الجزائر .

ومن هنا نرى بأن الرواية هي مرآة عاكسة لثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه الكاتب ، فالنصوص الروائية تحمل إيديولوجيا كاتبها ، ولاحظنا أن مفهوم تسييس الثقافة أو هيمنة التيار السياسي في الجزائر على جميع المجالات الحياتية بما في ذلك المجال الثقافي ، وظهر ذلك في الأعمال الروائية الجزائرية.

و- قضية المرأة المثقفة :

عالجت بعض الروايات الجزائرية المشاكل التي تعانيها المرأة الجزائرية المثقفة في مجتمعها ، ففي قصة"موسم اللقاح"1994 لزهور ونيسي ،وتتمحور القصة حول امرأة شاعرة شابة مولعة بالفكر والأدب والفن والثقافة، وهي من الجنوب الجزائري من مدينة محافظة ومغلقة في كل شيء من حيث التقليد والذهنيات، ولكنها مع ذلك شابة عصرية تبحث عن المكانة المرموقة للمرأة الجزائرية .

تناول موضوع قصة "موسم اللقاح" أزمة المرأة المثقفة التي عاشت في بيئة محافظة فلها مرجعية ثقافية محدودة وبطبيعة هذه البيئة التي فرضت القيود على هذه المرأة وماترتب ذلك من شعورها باليأس والتذمر .

هـ-قضية الأزمة اللغوية :

ومن قضايا السرد الجزائري نجد إشكال يتعلق باللغة ، ويتميز الوضع اللغوي الاجتماعي في جزائر التسعينات بالالتباس اللغوي التباس عبر عن أزمة لغوية قمنا بتقصي جذورها التاريخية من خلال الالتباس بين السياسة وتبعية الاقتصاد الريعية، التي انعكست على اللغة بأن تحولات هي الأخرى إلى ريع يتم إهداؤه دون تثمين ، ويستثمر الخطاب الروائي أدوات الاجتماعي من خلال عرض تلك القيم ،التي أضحت تحكم العلاقات الاجتماعية،التي تأثرت كثيرًا بمسار التحول الذي يخوضه المجتمع ضد واقعه بشقيه ، وفي هذا الصدد يرى إسماعيل حاجم أن "الثقافة والحضارة الفرنسية انتشرت في بلدان المغرب العربي، بعد احتكاك المجتمعين، فكان تأثير الحضارة الغربية الغالبة ذا فعالية كبيرة نتيجة الواقع المتخلف ، وإن اللغة الفرنسية لها دور حضاري وثقافي".

مما لاشك فيه أن اللغة تعبر عن حضارة المجتمع ، وانتشار اللغة الفرنسية هو أمر حتمي ، والكتابة بها سبب جدلًا كبيرًا بين النقاد،فلاحظنا ازدواجية في لغة الخطاب الروائي الجزائري استمرت لسنوات بعد استقلال الجزائر.

2- القضايا الثقافية في الرواية التونسية :

تناولت رواية"ومن الضحايا"1956 للعروسي المطوي نموذج المثقف الذي يملك الإجابة عن حركية الواقع الوطني بكل صراعاته الضمنية والخارجية ،فذا كان النموذج الإصلاحي الزيتوني قد مثل بحق الوجه الصدامي مع النموذج الطرقي لفترة معينة ،فإنه ومع بداية تشكل الحركة الوطنية الجديدة يجد نفسه في موقع دفاعي أمام لنموذج الجديد الممثل لأيديولوجية الوطنية ، وتنطلق معظم مفاهيم هذه الإيديولوجية في مواجهة الإيديولوجية السلفية الإصلاحية من منطلق الثقافة العلمانية اللبيرالية في النهضة العربية المعاصرة ،لاهي تسطيع الانفصال كلية لوقوعها تحت هيمنة الآخر العدو (أيديولوجيا الاستعمار) العدو المشترك ،ولاهي تستطيع المعايشة عن قرب ،مما أدخل حامل هذه الأيديولوجيا (الفتى) المثقف التونسي في صراع داخلي.

تعرض للعروسي المطوي في رواية"ومن الضحايا" لنموذج المثقف الأيديولوجي الوطني الذي عاش أزمة صراع حقيقية بسبب هيمنة الثقافة المستعمر الفرنسي عليه ، وهو يرفضها مما جعله أسير هذا الصراع الوجداني والفكري وماطرحه العروسي المطوي في رواية"ومن الضحايا" قريب مما تناولته بعض الروايات الجزائرية .

ومما تقدم حول النصوص الروائية المغاربية نرى بأنها تناولت قضايا تاريخية وثقافية على قدر كبير من الأهمية وحاول الأدباء من خلالها معالجة قضايا تاريخية ، والتي كان فيها البعد الثوري طاغيًا في معظم الأعمال الروائية ولاحظنا الحضور اللافت لبعض الإشكالات الثقافية الخاصة بواقع الأدباء الراهن مما تطلب منهم تجديد رؤاهم الفكرية والفنية .